مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
Anbar University Journal Of Islamic Sciences
P. ISSN: 2071-6028 E. ISSN: 2706-8722
Volume 14- Issue 4 - December 2023 | المجلد ١٤- العدد ٤ -كانون الاول ٢٠٢٣م

مقاصد ذِكْرِ القرآن الكريم من خلال صَدْرِ السور الـمُفتَتَحة بأحرف التهجّي، وعلاقتها مع المقاصد العامة مِن إنزال القرآن الكريم.

١- د. عبدالرحمن يتيم الفضلي
جامعة الكويت - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

٢- د. عبدالله صباح الملا
جامعة الكويت - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

١- الإيميل:
dr.alyteem@gmail.com

DOI: 10.34278/aujis.2023.181039

تاريخ استلام البحث: ٢ /٤ /٢٠٢٣م
تاريخ قبول البحث للنشر: ٢١ /٥ /٢٠٢٣م
تاريخ نشر البحث: ٢٠٢٣/١٢/١م

الكلمات المفتاحية:
المقاصد، العامة، القرآن، السور، التهجّي، إنزال.

©Authors, 2023, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص

يتناول هذا البحث دراسةَ مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال صدر السور الـمُفتَتَحة بأحرف التهجّي، وذلك أنّ تلك السور تضمّنت عقب افتتاحها بحروف التهجّي ذكر القرآن بمختلف مسمّياته، وصاحب ذلك التنويه ببعض الأهداف والأغراض التي مِن أجلها أُنزل القرآن الكريم؛ فأردنا من خلال هذه الدراسة إبراز هذه المقاصد، وبيان العلاقة بينها وبين المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم التي نصّ عليها العلماء، وبالخصوص ما ذكره العلامة الطاهر ابن عاشور في كتابه التفسير، وهي مقاصد ثمانية، ولا شكّ أنّ هذا النوع من الدراسة له أثر كبير في فهم وتدبّر القرآن الكريم، فإنّ فهم وتدبّر القرآن الكريم هو أمّ المقاصد التي من أجلها أنزل القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ ص: ٢٩

The aim of the revelation of some surahs in the Qur'an that begin with separate letters and their relation to the general purposes of the revelation of the Qur'an

[1] DR.Abdalrahman yateem alfadhli
Kuwait University - College of Sharia and Islamic Studies.

[2] DR.Abdullah sabah almulla
Kuwait University - College of Sharia and Islamic Studies.

1: Email:
dr.alyteem@gmail.com

Abstract:

The aim of the revelation of some surahs in the Qur'an that begin with separate letters and their relation to the general purposes of the revelation of the Qur'an ،which is to ponder over its verses.]

In this research I've ocused on deducing the aims of the revelation of some surahs in the Qur'an that begin with separate letters and how to link them to the general purposes of the revelation of the Qur'an.

DOI: 10.34278/aujis.2023.181039

Submitted: 2/4 /2023
Accepted: 21 /5 /2023
Published: 1 /12 /2023

Keywords:
Muslim - Prophets - The Quran- The aim.

©Authors, 2023, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله، وصلاةً وسلامًا على سيدنا رسول الله وبعد:

إنّ مما لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم كتابُ الأمّة الخالدُ؛ الذي لا يملُّ منه العلماء، ولا يخلَقُ على كثرة الردّ، بل هو البكر في معانيه، والجديد في مضامينه، ومن ثَمَّ لا يزال الباحثون يأمُّونه في كل زمان ومكان، ينهلون من معينه الصافي، ويقصدون إظهار مآثره وبدائعه، فكان من أهمّ ما يعنى به في ذلك تناول مقاصد القرآن الكريم بالبحث، لما فيها من تعميق اليقين وترسيخ الإيمان به، ومن مجالات البحث والدراسة ما جاء في صدر السور المفتتحة بأحرف التهجّي من ذكر لفظ القرآن الكريم أو الكتاب أو ما يشير إليه متضمّنا مقاصد وغاياتِ إنزاله، فكانت هذه الدراسة كاشفة عن تلك المقاصد، مع بيان العلاقة بين تلك المقاصد المذكورة مع المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم التي ذكرها العلماء ونصّوا عليها، وبالتحديد ما نوّه به العلامة الطاهر ابن عاشور رحمه الله في مقدمة كتابه (التحرير والتنوير) وعليه جعلت عنوان البحث: (مقاصد ذِكْرِ القرآن الكريم من خلال صَدْرِ السور المُفتَتَحة بأحرف التهجّي، وعلاقتها مع المقاصد العامة مِن إنزال القرآن الكريم). وقد كان المثير لهذا البحث والباعث عليه عبارة جميلة للحافظ ابن كثير رحمه الله في أوّل تفسيره وكلامه على حروف التهجّي في أوّل مناسبة لها من سورة البقرة، فقد ذكر أقاويل المفسرين حولها، وممّا حكاه عن بعضهم أنّ في هذه الحروف التي ذكرت في أوائل تلك السور بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. ثم قال معقّبا:" ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين

سورة"[١].

وأعاد هذا الكلام عند تفسير فواتح سورة الرعد، فقال:" وقدّمنا أنّ كلّ سورة تبتدأ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن، وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب؛ ولهذا قال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الرعد: ١، أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن"[٢].

أسئلة البحث:

١- هل هناك علاقة بين افتتاح السورة المفتتحة بأحرف التهجّي وبين ذكر القرآن وما يشير إليه عقبه مباشرة؟

٢- ذكر القرآن الكريم عقد افتتاح السورة بأحرف التهجّي تضمّن الإشارة إلى مقاصد وغايات من إنزاله؛ فما هي هذه المقاصد والغايات؟

٣- ألّف العلماء في مقاصد إنزال القرآن الكريم العامّة، ومن بينهم العلامة الطاهر بن عاشور، فما هي العلاقة بين ما ورد في صدر السور المفتتحة بأحرف التهجي، وبين ما ذكره الطاهر ابن عاشور؟

أهمية الموضوع:

١- أنّ معرفة الرابط بين ما ورد في صدر السور المفتتحة بأحرف التهجّي وبين المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم يُعين على فهم وتدبر القرآن الكريم واستنباط دقائق ألفاظه ومعانيه.

٢- أنّ علم المقاصد في صورةٍ عامة يُعدُّ أَحَدَ ألوان تفسير القرآن بالقرآن.

٣- أن الموضوع يُعتَبر جديدًا في فكرته.

---

(١) إسماعيل ابن كثير. *تفسير القرآن العظيم*. تح: سامي بن محمد سلامة. (دار طيبة للنشر،١٤٢٠هـ)، (١/١٦٠).

(٢) المصدر نفسه (٤/٤٢٨).

أهداف وسبب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في إبراز العلاقة والرابط بين صدر السور المفتتحة بأحرف التهجّي ومقاصد إنزال القرآن العامّة.

٢- إظهار دور معرفة مقاصد السورة في تدبر السورة وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا.

٣- إثراء المكتبة الإسلامية بـــموضوع فيه جِدَة في بابه.

٤- إبراز موضوع يحتاجه المسلمون يساعد على تعزيز اليقين بكتاب الله تعالى.

الدراسات السابقة:

لم يتناول أَحَدٌ من الباحثين قبلنا فيما نعلم – هذا الموضوع في بحث مستقل، وإنما كانت هناك دراسات تدور حول موضوع المقاصد بمواضع مختلفة.

حدود البحث:

مما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا البحث قائم على دراسة مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال السور المفتَتَحة بأحرف التهجي، التي ذُكِر القرآن بعدها مباشرة، وربطها مع مقاصد القرآن العامة من إنزاله، وقد وقع اختيارنا على المقاصد العامّة التي ذكرها الطاهر ابن عاشور.

منهج البحث:

سوف يسير البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث سنقوم – بإذن الله – بجمع النصوص الواردة في حدود البحث، ثم تحليلها، ودراستها بعناية، مستنبطين منها المقاصد المستفادة معتمدين على ما دوّنه أهل التفسير، ومن ثمّ مقارنتها بالمقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم التي ذكرها الطاهر ابن عاشور.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أسئلة البحث، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وحدوده، وبيان الخطة والمنهج الذي سار الباحث فيه.

التمهيد: في بيان مصطلحات عنوان البحث: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم التي ذكرها الطاهر ابن عاشور.

المطلب الثالث: في السور المفتتحة بأحرف التهجّي.

المبحث الأول: مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال صدر السور المفتتحة بأحرف التهجّي في السبع الطوال والـــمئين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في السبع الطوال.

المطلب الثاني: في الـــمئين.

المبحث الثاني: مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال صدر السور المفتتحة بأحرف التهجّي من الـــمثاني والمفصَّل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في السور الـــمثاني.

المطلب الثاني: في الـــمفصّل.

ثم الخاتمة : وفيها أهم النتائج.

التمهيد: في بيان مصطلحات عنوان البحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم.

ويتضمّن ذلك ما يأتي:

أولا: تعريف المقاصد لغة: جمع (مقصد) والمقصد مصدر ميمي مأخوذ من الفعل الثلاثي

(قصد)، يقال: قصد يقصد قصدًا ومقصدًا، فالقصد والمقصد بمعنى واحد.

وهذه الكلمة قد جاءت في كتب اللغة على معان[١] ، منها:

١- الاعتماد والأمّ وإتيان الشيء والتوجّه:

ومن هذا المعنى ما في صحيح مسلم:((فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله)) [٢].

٢- استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾ [النحل:٩]، أي: على الله تبيين الطريق المستقيم.

٣- العدل والتوسط وعدم الإفراط: ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [سورة لقمان:١٩]، ومنه ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ أنّها كانت قصدا[٣].

وقد أشار إلى هذه المعاني ابن جني، فقال:" أصل مادة (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام، والتوجّه، والنهود، والنهوض نحو الشيء، على اعتدال

---

(١) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي. *كتاب العين*. تح: د مهدي المخزومي- ود إبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال)، (٥٤/٥). أحمد ابن فارس. معجم *مقاييس اللغة*. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، (٩٥/٥). محمد بن مكرم ابن منظور. *لسان العرب*. (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، (٣٥٣/٣).

(٢) أخرجه مسلم بن الحجاج النيسابوري. *صحيح مسلم*. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم (١٦٠)، (٦٨/١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم:٤١، (١١/٣).

كان ذلك أو جور. هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل. ألا ترى أنّك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى، فالاعتزام والتوجّه شامل لهما جميعا"(١).

ويظهر من خلال عرض هذه المعاني أنّ المعنى الأوّل وهو الاعتماد والأمّ وإتيان الشيء والتوجّه هو المناسب والمراد عند الكلام على مقاصد إنزال القرآن الكريم، لأنّها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه والتوجّه إليه، مع أنّ المعنيين الآخرين غير خارجين عن المعنى الأوّل.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للمقاصد العامّة:

قبل أن نتناول تعريف مصطلح المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم، يحسن ابتداءً بيان وتعريف مصطلح المقاصد العامّة.

يعتبر الطاهر ابن عاشور من مؤصّلي علم مقاصد الشريعة، فقد ألّف فيه كتابا مستقلا، وكان ممّا تناوله بالبحث تعريف المقاصد العامّة.

قال رحمه الله: " المقاصد العامّة هي المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أصول التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصُّ ملاحظتها بالكون في نوع خاصٍّ من أحكام الشريعة"(٢).

ومن كتب في مقاصد الشريعة جعل تعريف ابن عاشور لمقاصد الشريعة العامّة أو مقاصد التشريع، والمراد هنا تعريف المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم، وعليه يمكن تلمّس تعريف له، بأن نقول: "مقاصد القرآن الكريم العامّة في المعاني والحكم الملحوظة للشارع في القرآن الكريم، بحيث لا تختصّ بنوع معيّن من أبواب الشريعة وأحكامها".

---

(١) علي بن إسماعيل ابن سيده. *المحكم والمحيط الأعظم*. تح: عبد الحميد هنداوي.(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، (١٨٧/٦).

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. اعتناء: محمد الحبيب ابن الخوجة. (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، (١٢١/٢).

المطلب الثاني: المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم التي ذكرها الطاهر ابن عاشور:

ذكر العلامة الطاهر بن عاشور في مقدّمة تفسيره المقاصد الأصلية أو العامّة التي جاء القرآن لتبيانها، ونزل الكتاب للتنبيه عليها، حتى تكون نبراسا يهتدي به المكلّفون، وأنّها بلغت حسب استقرائه ثمانية مقاصد(١)، وهي على النحو الآتي:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح: ويعتبر هذا المقصد أعظم المقاصد وأكملها وأصلها، وهو سبب لإصلاح الخلق؛ لأنّه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهّر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والتعلّق بغير الله عز وجل. وقد أشار إلى هذا المعنى قولُه تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ [سورة هود:١٠١]. فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم، وليس هو من فعل الآلهة ولكنّه من آثار الاعتقاد بالآلهة، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [سورة الجن:٦].

الثاني: تهذيب الأخلاق: قال تعالى في وصف نبيّه الكريم محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم:٤]، وفسرت عائشة رضي الله تعالى عنها خلق النبي صلى الله عليه ولمّا سئلت عن ذلك فقالت: كان خلقه القرآن(٢).

وفي الحديث الذي رواه مالك في «الموطأ» بلاغا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بعثت لأتمم مكارم حسن الأخلاق)) (٣).

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور. *التحرير والتنوير*. (الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، (٤٠/١).

(٢) أخرجه الحاكم مسلم في الصحيح (٥١٣/١)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم (٧٤٦).

(٣) أخرجه مالك بن أنس. *الموطأ*. تح: محمد مصطفى الأعظمي. ط١. (ابو ظبي : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م)، (١٣٣٠/٥). كتاب الجامع، ما جاء في حسن الخلق، رقم (٣٣٥٧)، ولفظه: ((بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ)).

الثالث: التشريع: وهو الأحكام خاصّة وعامّة. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾. [سورة النساء:١٠٥]. ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾. [سورة المائدة:٤٨].

وقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كلّيا في الغالب، وجزئيّا في المهمّ، فقوله: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ [سورة النحل:٨٩]، ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [سورة المائدة:٣] المراد بهما إكمال الكلّيات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس.

الرابع: سياسة الأمّة: وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمّة وحفظ نظامها، كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]. ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]. ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾ [سورة الشورى:٣٨]. ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [سورة الشورى:٣٨].

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم: قال تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾ [سورة يوسف:٣]. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]. وللتحذير من مساويهم قال: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ

ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة إبراهيم:٤٥] وفي خلال هذه القصص تنبيه وتعليم، وإشارة إلى أحوال الأمم السابقة، والاعتبار بما وقع لهم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهّلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها: وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب.

وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. [سورة البقرة:٢٦٩].

وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأمّيين إلى العلم، وقد لحق به التنبيه المتكرّر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادا اختصوا بفرط ذكاء تضم إليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٣]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر:٩]. ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾[سورة القلم:١]، فنبه إلى مزية الكتابة.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير: وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وكذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ: إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدّي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة يونس:٣٨].

المطلب الثالث: في السور المفتتحة بأحرف التهجّي:

السور المفتتحة بأحرف التهجّي أو الحروف المقطّعة في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة، منها **أربعة من السبع الطوال**، وهي سور البقرة وآل عمران والأعراف ويونس، **واثنا عشر من المئين** وهي: هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر ومريم و(طه) والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم، **وإحدى عشر سورة من المثاني** وهي: لقمان والسجدة و(يس) و(ص) وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف، **وسورتان من المفصّل** وهما: (ق) والقلم.

وأحرف التهجّي أو الحروف المقطّعة في أوائل هذه السور اختلف المفسرون في المراد بها وتأويلها على أقاويل كثيرة، وقد ذكر طرفا منها الحافظ ابن كثير ثمّ إنّه استحسن ما ذكره بعضهم فقال:" ومن هاهنا لحظ بعضهم في هذا المقام كلاما، فقال: لا شك أنّ هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى؛ ومن قال من الجهلة: إنّه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية، فقد أخطأ خطأ كبيرا، فتعيّن أنّ لها معنى في نفس الأمر، فإن صحّ لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

ولم يجمع العلماء فيها على شيء معيّن، وإنّما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتّباعه، وإلا فالوقف حتى يتبيّن؛ هذا مقام.

المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور، ما هي؟ مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها"[(١)].

ثمّ ذكر وجوها من هذه الحكم، ضعّف بعضها، وختمها بوجه يظهر أنّه مرضيّ عنده، فقال:" وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢] .

---

(١) ابن كثير، (١/١٦٠).

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [آل عمران: ١-٣]. ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١، ٢]. ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾[إبراهيم: ١]، ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ١، ٢] . ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١، ٢]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ١-٣]، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر، والله أعلم"[(١)].

والانتصار للقرآن الكريم له صور ووجوه كثيرة سيأتي تفصيلها من خلال المباحث الآتية، والمقصود بالسور المفتتحة بأحرف التهجّي محلّ الدراسة والبحث هي السور التي ذكر القرآن أو الكتاب عقيبها؛ إذ أنّ ذلك مشعر بالحكمة التي نصّ عليها الحافظ ابن كثير.

وعليه يكون البحث في صدر السور المفتتحة بأحرف التهجّي والتي ذكر فيها القرآن أو الكتاب أو الوحي، من خلال استنباط المقاصد من إنزاله، وبيان العلاقة بينها وبين المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم التي ذكرها الطاهر ابن عاشور في تفسيره.

وتعداد تلك السور على هذا بلغت خمسة وعشرين سورة، وقد ساقها محمد الأمين الشنقيطي على إثبات المعنى الذي ذكره ابن كثير في كلامه على الحروف المقطعة عند تفسيره لسورة هود [(٢)].

وبناء على هذا الإحصاء المبني على الاستقراء مِن هاذين الإمامين ابن كثير والشنقيطي جعلت هذه المواضع موزعة على ثلاثة مباحث بحسب موطن السورة من تقسيم القرآن المشهور إلى الطوال والمئين والمثاني والمفصل.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: الشنقيطي، (١٦٨/٢).

المبحث الأول: مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال السور المفتتحة بأحرف التهجّي من السبع الطوال والـمئين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في السبع الطوال:

تضمّنت السور السبع الطوال أربع سور افتتحت بأحرف التهجّي، أعقبها ذكر الكتاب أو القرآن، وهي:

أولا: سورةُ البقرة:

قال تعالى: إِنَّ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ [البقرة:١-٥].

سورة البقرة مدنيّة، افتتحها الباري عزَّ وجل بحروف التهجّي الثلاثة **الألف واللام والميم**، وذَكَر بعد ذلك لفظ الكتاب والمراد به ههنا القرآن في قول أكثر المفسرين؛ مشيرا إليه في قوله تعالى: إِنَّ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ ﴿٢٧﴾

قال ابن كثير:" و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ القرآن، ومن قال: إنّ المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل، كما حكاه ابن جرير وغيره، فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع، وتكلّف ما لا علم له به"(١).

وقد تضمّن هذا الافتتاح وصف القرآن الكريم بوصفين عظيمين وأنّه أنزل لمقصدين جليلين:

أولهما: أنّه ينفي الريب والشكّ عنه، والآخر: أنّه هدى للمتقين.

---

(١) ابن كثير، (١٦٢/١).

والمراد بنفي الشك والريب عنه أنّه مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب، وأنّه في علوّ الشأن، وسطوع البرهان، والوضوح قد بلغ إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه، لأنّ العرب مع بلوغهم في الفصاحة إلى النهاية عجزوا عن معارضة أقصر سورة من القرآن، وذلك يشهد بأنه بلغت هذه الحجة في الظهور إلى حيث لا يجوز للعاقل أن يرتاب فيه.(١)

والمراد بكونه هدى للمتقين أنّه تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، ولم يعيّن لأيّ شيء كان هاديا ليعمّ جميع مصالح الدين والدنيا، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبيّن للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبيّن لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم(٢).

وهذان المقصدان قد أشار إليهما الطاهر ابن عاشور، فممّا ذكره من المقاصد العامّة من إنزال القرآن الكريم إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وذلك أنّ نفي الريب والشك، يستلزم اشتمال الكتاب على علم اليقين، وتضمنه للبراهين والأدلّة الساطعة التي يحصل بها الطمأنينة للقلب والسكون للنفس، والانشراح للصدر، وعليه يكون ما حوته صدر هذه السورة مضمّنا فيما ذكره الطاهر ابن عاشور(٣).

---

(١) ينظر: فخر الدين الرازي. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠هـ)، (٢٦٦/٢). محمد جمال الدين القاسمي. *محاسن التأويل*. تح: محمد باسل. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، (٢٤٣/١). عبد الرحمن بن ناصر السعدي. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تح: عبد الرحمن اللويحق. (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، (ص:٤٠).

(٢) ينظر: السعدي، (ص:٤٠).

(٣) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

ثانيا: سورة آل عمران:

قال تعالى: إِنَّ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْۚ **[آل عمران: ١- ٤].**

ذكر القرآن الكريم في هذه الآيات بلفظ: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ، فقوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ يعني: نزل عليك القرآن يا محمد.

ثمّ ذكر المقصد من إنزاله فقال: ﴿بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي: لا شك فيه ولا ريب، بل هو منزل من عند الله عز وجل أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدًا.

ثمّ وصفه بأنّه: ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ أي: من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء، فهي تصدّقه بما أخبرت به وبشّرت في قديم الزمان، وهو يصدّقها؛ لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت، من الوعد من الله بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم، وإنزال القرآن العظيم عليه(١).

والمتأمل في مقصد إنزال القرآن الكريم والمشار إليه في صدر سورة آل عمران؛ يجد أن هذا الكتاب العزيز جاء مصدِّقًا لنفسه ولغيره من الكتب السماوية التي سبقته؛ وكَمَا أنّ هذه الكتب السّماوية كانت مصدرَ هدايةٍ لأهلها في وقتها قبل أن تطالها أيدي التحريف والتبديل، فكذلك هذا الكتاب مصدر الهداية للناس أجمعين.

قال السعدي:" ومن قيامه تعالى بعباده ورحمته بهم أن نزّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتابَ، الذي هو أجلّ الكتب وأعظمها؛ المشتمل على الحقّ في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ من الكتب

(١) ينظر: ابن كثير، (٥/٢).

السابقة، فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق"(١).

وفي قوله تعالى:﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ دلالة على فضل وشرف القرآن الكريم على غيره مِن الكتب السماوية، فهو المهيمن عليها، الـمُشتمل لكل ما جاء فيها مِن بيانٍ للناس وهدى ورحمة، وهذه الأسبقية في الفضل والشرف والمنزلة يترتب عليها أسبقيةٌ في الفضل والشرف والمنزلة لِمَن نزل عليه هذا القرآن وهو نبينا محمد ﷺ ولأمَّتِه كذلك.

والمقاصد التي وردت في هذه الآيات من كونه حقّا في أخباره وحقّا في أمره ونهيه، عدلا فيهما، متضمنا مصالح العباد الدينية والأخرويّة مصدّقا لما قبله من الكتب التي أنزلت على الرسل شاهدًا على أنّها من عند الله؛ هذه المعاني كلّها تعزّز مقصد إعجاز القرآن الكريم من جهة معانيه، فهو قد اشتمل على أجلّ المعاني وأعظم الهدايات التي فيها سعادة المكلّفين.

ثالثا: سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١-٣].

سورة الأعراف من السور المكيّة، وقد ذكر القرآن الكريم في صدرها بلفظ: ﴿ٱلْكِتَٰبَ ﴾، منكّرا؛ وهذا التنكير فيه أغراض، ذكرها بعض المفسرين.

يقول الطاهر ابن عاشور:" التنكير أريد به التعظيم؛ أي هو كتاب عظيم؛ تنويها بشأنه فصار التنكير في معنى التوصيف. وقد يراد بالتنكير التعجيب من شأن هذا

(١) السعدي، (ص:١٢١).

الكتاب في جميع ما حف به من البلاغة والفصاحة والإعجاز والإرشاد، وكونه نازلا على رجل أمي"(١).

والخطاب في الآية الكريم السابقة ليس مقصورًا على نبينا محمد ﷺ وحده فقط، بل هو خطاب عام يشمل كل مَن سار على الطريق نفسه طريق الدعوة إلى الله وإلى دينه الحنيف.

قال البغوي:" فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة"(٢).

يقول السعديّ –رحمه الله– في معنى الآيات إجمالا:" كتاب جليل حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، محكما مفصلا؛ ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ٢] أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] ، وأنه أصدق الكلام فلينشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لائما ومعارضا"(٣).

جاءت هذه الآيات حاملةً في صدرها التأكيدَ على مقصد نجاة الناس وإخراجهم مِن ظلمات الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، مُذكِّرةً المؤمنين بـــما يجب عليهم فِعْلُه واجتناب ما عنه نهوا وزجروا، متضمِّنة بشارة وسعادة وانشراح صدور الـــمُمتثلين لأحكامه، مُنْذِرةً لِـــمَن أعرض ونأى بجانبه عن الحق والصراط المستقيم.

وقد تضمّنت هذه الآيات مقصدين عظيمين من إنزال القرآن يمكن تلخيصها فيما يأتي:

---

(١) ينظر بتصرف: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١١/٨).

(٢) الحسين بن مسعود البغوي. *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. حققه وخرج أحاديثه: عثمان ضميرية وآخرون. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـــ– ١٩٩٧م)، (١٨٠/٢).

(٣) السعدي، (ص:٢٨٣).

أوّلها: تعظيم القرآن الكريم في قلوب المؤمنين، وتعظيم شرف حمله في نفوسهم، وأن يكون ذلك دافعا قويّا لتبليغ شرع رب العالمين، مزيلا عن القلب ما ينتابه من الترقب والخوف والحرج من إعراض المعرضين عنه؛ فهو الكتاب المبين الهادي إلى كلّ خير وصلاح في الدين والدنيا.

ثانيا: أنّ أعظم مقاصد إنزال القرآن الكريم هو النذارة والبشارة والتذكرة.

يقول السعدي:" ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ الخلق، فتعظهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين. {و} ليكون ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يتذكرون به الصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد، وبين سلوكه"(١).

وهذان المقصدان المشار إليهما يتطابق مع ما نصّ عليه الطاهر ابن عاشور وتأصيل لما تضمّنهما، في المقصدين السابع والثامن؛ فالسابع في المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، والثامن في الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم(٢).

رابعًا: سورة يونس:

قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ١-٢].

سورة يونس مكيّة إلّا ثلاثَ آيات من قوله:﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [يونس: ٩٤] إلى آخرها(٣).

---

(١) السعدي، (ص:٢٨٣).

(٢) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٦/٢).

(٣) ينظر: البغوي، (١١٧/٤).

جاء ذكر القرآن الكريم عقب أحرف التهجي بلفظ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، ثم وصف بأنّه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾، وهي الآية نفسها في سورة لقمان: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان:١-٢].

يقول السعدي في المشار إليه بلفظ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ في سورة يونس:" وهو هذا القرآن، المشتمل على الحكمة والأحكام، الدالة آياته على الحقائق الإيمانية والأوامر والنواهي الشرعية، الذي على جميع الأمة تلقيه بالرضا والقبول والانقياد. ومع هذا فأعرض أكثرهم، فهم لا يعلمون، فتعجبوا ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ عذاب الله، وخوفهم نقم الله، وذكرهم بآيات الله. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ إيماناً صادقاً ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لهم جزاء موفور وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة"(١).

وفي الإشارة لآيات الكتاب بـــــ﴿تِلْكَ﴾ من معنى البُعد للتنبيه على بُعد منزلة المشار إليه في الفخامة ورفعة القدر(٢).

مِن الأمور والمقاصد المهمة التي أكَد عليها القرآن الكريم والمشار إليها في صدر سورة يونس هو ما تضمّنه وصف القرآن الكريم بأنّه حكيم، وهذا الوصف ذكر له أهل العلم عدّة معانٍ:

أ- الحكيم بمعنى المُحْكَمِ بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعَل، والمحكم من الباطل، لا كذب فيه ولا اختلاف، ومحكم في كونه كلاما حقا؛ فصيح الألفاظ صحيح المعاني، وكل قول وكلام يوجد كان القرآن أفضل منه في فصاحة اللفظ وقوة المعنى.

---

(١) السعدي، (ص:٣٥٧).

(٢) أحمد بن محمد ابن عجيبة. *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان. (القاهرة: الدكتور حسن عباس، ١٤١٩هـ)، (١٢٣/٤).

ب- الحكيم بمعنى الحاكم، أي: أنه حاكم بالحلال والحرام، وحاكم بين الناس بالحق؛ وحاكم على الكتب السابقة مهمين عليها، فعيل بمعنى فاعل.

ت- الحكيم بمعنى المحكوم فيه؛ أي: حَكَمَ الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحَكَمَ فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحَكَمَ فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول.

ث- الحكيم بمعنى ذو الحكمة والصواب؛ في أحكامه وقصصه وأخباره ومواعظه(١).

وقد جمع السعديُّ رحمه الله شيئاً من إحكام آيات القرآن الكريم والكتاب المبين -وذلك عند سورة لقمان- فقال: «ومِنْ إحكامها: أنّها جاءت بأجلِّ الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدَّالة على أجَلِّ المعاني وأحسنها.

وَمِنْ إحكامها: أنّها محفوظة من التَّغيير والتَّبديل، والزِّيادة والنَّقص، والتَّحريف.

ومن إحكامها: أنّ جميع ما فيها من الأخبار السَّابقة واللاَّحقة، والأمور الغيبية كلِّها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأت عِلْمٌ محسوس ولا معقول صحيح يُناقض ما دلَّت عليه.

ومن إحكامها: أنّها ما أَمرت بشيء، إلاَّ هو خالص المصلحة، أو راجحها. ولا نهت عن شيء، إلاَّ وهو خالص المفسدة، أو راجحها. وكثيراً ما يُجمع بين الأمر بالشَّيء، مع ذكر حكمته وفائدته، والنَّهي عن الشَّيء، مع ذكر مضرَّته.

ومن إحكامها: أنّها جَمَعت بين التَّرغيب والتَّرهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيِّرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم.

---

(١) ينظر هذه المعاني: الرازي، (١٨٤/١٧-١٨٥). عبد الله بن أحمد النسفي. *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تح: يوسف علي بديوي. (دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ)، (٥/٢). عبد الحق بن غالب ابن عطية. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تح: عبد السلام عبد الشافي. (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، (١٠٢/٣). . نصر بن محمد السمرقندي. *بحر العلوم*.(بدون طبعة)، (١٠٢/٢).

ومن إحكامها: أنّك تجد آياتها المتكرّرة؛ كالقَصَص، والأَحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف"(١).

وهذه الأوصاف العظيمة للقرآن الكريم وما تضمنته من مقاصد إنزاله وهي كونُه حاكما محكَما مشتملا على الحكمة على اختلاف المعاني المضمّنة فيه، والتي سبقت الإشارة إليها، يمكن القول بأنها حوت واشتملت على أكثر ما ذكره الطاهر ابن عاشور في المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم.

المطلب الثاني: في الــمئين:

أولا: سورة هود:

قال تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ [هود:١-٢].

سورة هود مكية إلا بعض آيات، أشير بعد أحرف التهجّي إلى القرآن الكريم بلفظ: ﴿كِتَٰبٌ﴾ مُنَكَّرًا موصوف بأنّه: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، فجاء هنا بوصفين للكتاب وآياته وهما الإحكام والتفصيل، ثمّ عقّب ذكر الغرض الأعظم والمقصد الأتم من إنزاله فقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾.

قال الطبري: وأما قوله: ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، فإن معناه: ﴿حَكِيمٍ﴾ بتدبير الأشياء وتقديرها، ﴿خَبِيرٍ﴾ بما تؤول إليه عواقبُها..... ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، وتخلعوا الآلهة والأنداد. ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد، للناس﴿إِنَّنِي لَكُم﴾، من عند الله ﴿نَذِيرٞ﴾ ينذركم عقابه

(١) السعدي، (ص:٦٤٦).

على معاصيه وعبادة الأصنام﴿ وَبَشِيرٌ ﴾، يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والأُلوهَةِ له(١).

وهذه المعاني الجامعة للإحكام سبق تفصيلها قريبًا عند الكلام على وصف الكتاب بأنّه (الحكيم)، فهي لا تخرج عنها، والمقاصد المذكورة هناك هي نفسها التي تستصحب في هذا الموضع.

إلّا أنّ المعنى الأظهر إرادة السلامة من الإخلال التي تعرض لنوعها، بأن جعلت آياته كاملة في نوع الكلام بحيث سلمت من مخالفة الواقع ومن إخلال المعنى واللفظ(٢).

والوصف الآخر لآيات الكتاب أنّها مفصّلة، ومعنى التفصيل الذي ذكره المفسرون كان تبعا لاقترانه بمعنى الإحكام، فيكون معنى التفصيل بحسب المعنى المذكور للإحكام، وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة.

قال الماوردي:" ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾، فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب، قاله الحسن.

الثاني: أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية، وهذا قول قتادة. **الثالث:** أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت، وهذا معنى قول مجاهد.

الرابع: أحكمت آياته للمعتبرين، وفصلت آياته للمتقين.

الخامس: أحكمت آياته في القلوب، وفصلت أحكامه على الأبدان"(٣).

---

(١) محمد بن جرير الطبري. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تح: أحمد محمد شاكر. (مؤسسة الرسالة)، (١٥/ ٢٢٨).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١١/٣١٤).

(٣) علي بن محمد الماوردي. *النكت والعيون= تفسير الماوردي*. تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (بيروت: دار الكتب العلمية)، (٢/٤٥٦).

وقال البغوي رحمه الله: "﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به، ثم فصلت، بينت بالأحكام والحلال والحرام. وقال الحسن: أحكمت بالأمر والنهي، ثم فصلت بالوعد والوعيد. قال قتادة: أحكمت، أَحْكَمَها اللهُ فليس فيها اختلاف ولا تناقض. وقال مجاهد: فصلت أي: فسرت. وقيل: فصلت أي: أنزلت شيئًا فشيئًا، من لدن حكيم خبير"(١).

ثم جاء ذكر المقصد الأعظم من إنزال القرآن الكريم وهو أن يعبد الله عز وجل وحده وأن تخلص له العبادة، ولا يشرك معه أحد فيها؛ وذلك في قوله:﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾.

يقول الشنقيطي:" هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها: هي أن يعبد الله جل وعلا وحده، ولا يشرك به في عبادته شيء؛ لأن قوله جل وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ صريح في أنّ آيات هذا الكتاب فصلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يعبد الله وحده"(٢).

وهذا المقصد يتوافق مع ما ذكره الطاهر ابن عاشور في أوّل ما ذكره من المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم وهو مقصد إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح؛ فهو سبب لإصلاح الخلق، لأنّه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهّر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والتعلّق بغير الله عز وجل(٣).

---

(١) البغوي، (٤٣٨/٢).

(٢) الشنقيطي، (١٦٨/٢-١٦٩).

(٣) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

ثانيا: سورة يوسف:

قال الله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:١-٣].

سورة يوسف مكيّة، افتتحت بالإشارة إلى القرآن الكريم بلفظ: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ثمّ وصفه بأنّه مبين.

قال البغوي: أي: البَيِّنُ حلالُه وحرامه وحدوده وأحكامه. قال قتادة: مُبِينٌ واللهِ بركتُه وهداهُ ورشدُه، فهذا من بان أي: ظهر. وقال الزجاج: مُبَيِّنٌ الحقَّ من الباطل والحلالَ من الحرام، فهذا من أبان بمعنى: أظهر. ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾، يعني: الكتاب، ﴿ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾، أي: أنزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه. ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ ﴾ ، أي: نقرأ، ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾.... معناه: نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان. وقيل: المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة، سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد(١).

وهذه الآيات اشتملت على ذكر مقاصد وغايات من إنزال القرآن الكريم.

تضمّنها الوصف بأنّه ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾، وقد اشتمل على معان ترجع إلى ما يأتي(٢):

الأول: أنّ القرآن آية بيّنة ومعجزة قاهرة لمحمد صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنّه المبينُ أي: البيّن حلاله وحرامه وحدوده وأحكامهُ بيّن فيه الهدى والرشاد، وبيّن من جهة بيان اللسان العربي وجودته.

---

(١) البغوي، (٢/ ٤٧٣).

(٢) تنظر هذه المعاني: الرازي، (٤١٦/١٨)، البغوي، (٢٠٩/٤)، ابن عطية، (٢١٨/٣).

الثالث: أنّه مبيّنُ الحقِّ من الباطل والحلال من الحرام؛ ويبيّن فيه قصص الأولين وشرحت فيه أحوال المتقدمين، فهذا من أبان بمعنى أظهر.

وهذه المعاني العظيمة هي مقاصد جليلة جاء القرآن الكريم لتحقيقها.

وهي التي نصّ عليها الطاهر ابن عاشور فيما سبق بقوله:" الثالث: التشريع: وهو الأحكام خاصّة وعامّة... الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم... الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم"(١).

ثالثا: سورة الرعد:

قال تعالى: ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[الرعد: ١].

سورة الرعد مكيّة إلّا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾ [الآية:٣١]، وقوله:﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗا ﴾ [الآية:٤٣].

افتتحت هذه السورة بعد أحرف التهجّي ﴿ الٓمٓرۚ ﴾ بالإشارة إلى آيات الكتاب، وسبق أنّ تلك الإشارة ترجع إلى إحدى أمور ثلاث:

الأول: آيات السورة نفسها.

الثاني: القرآن الكريم.

الثالث: الكتب المنزلة، كالتوراة والإنجيل والقرآن(٢).

وعلى هذين المعنيين الأخيرين يكون من باب عطف العام على الخاص أو عطف إحدى الصفتين على الأخرى(٣).

---

(١) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

(٢) انظر: الطبري، (٤٠٦/١٣). البغوي، (٢٨٨/٤). ابن عطية، (٢٩٠/٣).

(٣) ينظر: عبد الله بن عمر البيضاوي. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تح: محمد المرعشلي. (دار إحياء التراث العربي. ١٤١٨هـ)، (١٨٠/٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يقول القاسمي:" أي: الكتاب العجيب الكامل الغنيّ عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب، الحقيق باختصاص اسم الكتاب به، فهو عبارة عن جميع القرآن، أو عن الجميع المنزل حينئذ"(١).

ثمّ وصف ما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن بأنّه ﴿ٱلۡحَقُّ﴾، وهذا الوصف جامع لكلّ خير وفلاح، مشتمل على كل مصلحة دينية ودنيوية.

يقول السّعدي:" يخبر تعالى أنّ هذا القرآن هو آياتُ الكتاب الدالّة على كلّ ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحقّ المبين، لأنّ أخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل، مؤيَّدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم بالحقّ، الذي يوجب لهم علمهم العمل بما أحب الله.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بهذا القرآن، إمّا جهلا وإعراضا عنه وعدم اهتمام به، وإمّا عنادا وظلما، فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع"(٢).

قال القرطبي: ﴿مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ "لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من تلقاء نفسك، فاعتصم به واعمل بما فيه"(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ شهادةٌ من الله تعالى على صِدْق نبيه محمد ﷺ، وأنه إنما تلقاه من لدن حكيم حميد، ولـــم يختلقه من تلقاء نفسه كما يزعمه المبطلون.

---

(١) القاسمي، (٦/ ٢٥٤).

(٢) السعدي، (ص:٤١٢).

(٣) محمد بن أحمد القرطبي. *الجامع لأحكام القرآن*. تح: أحمد البردوني. (مصر: دار الكتب المصرية،١٣٨٤هـــ)، (٢٧٨/٩).

وإن المتأمّل في مقصد إنزال القرآن الكريم والمشار إليه في صدر سورة الرعد؛ أنّ إنزال القرآن الكريم بالحقّ هو مجمع المقاصد من إنزال القرآن الكريم؛ فهو الأصل الذي تتفرع عليه سائر المقاصد الأخرى، وعليه يندرج تحته جميع ما ذكره الطاهر ابن عاشور من المقاصد العامّة الثمانية، فإنزال القرآن الكريم بالحقّ يتضمّن إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وتهذيب الأخلاق، ويشتمل على الأحكام خاصة وعامة والأمر والنهي، وعلى المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، مع ذكر القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، وفيه بيان كيفية سياسة الأمة وحفظ نظامها وكيانها(١).

رابعا: سورة إبراهيم:

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

سورة إبراهيم مكيّة إلّا آيتين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ فمدنيّتان، وقد ذكر القرآن الكريم بلفظ الكتاب منكّرا ثم وصف بأنّه منزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لمقصد عظيم هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقد ذكر هذا المقصد في مواضع من القرآن.

وفي معنى الظلمات والنور أوجه أربعة، قال الماوردي:" أحدها: من الشك إلى اليقين. الثاني: من البدعة إلى السنّة، الثالث: من الضلالة إلى الهدى، الرابع: من الكفر إلى الإيمان"(٢).

قال السمعاني: وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ ﴾ معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك. وقوله: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ معناه: من الضلالة إلى الهدى، ومن

(١) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).
(٢) الرازي، (١١٦/١٩).

الكفر إلى الإيمان ومن الغواية إلى الرشد، وقيل: من البدعة إلى السنة. والظلمة اسوداد الجو بما يمنع من البصر، والنور: بياض شعاعي يحصل به الإبصار. قوله:﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بأمر ربهم، وقيل: بعلم ربهم. وقوله ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ الصراط هو الدين، والعزيز الحميد هو الله تعالى. ومعنى العزيز: الغالب، ومعنى الحميد: هو المستحق للحمد في أفعاله؛ لأنه إنما متفضل أو عادل"(١).

إن الناظر في سورة إبراهيم يجد أنها قد حَوَتْ في صدرها مقصدًا عظيمًا من مقاصد إنزال القرآن وهو التأكيد على إصلاح علاقة الناس بخالقهم، وذلك بإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد، ومِن ضلالات البِدَع والجهل إلى هداية السنة والعلم.

وهذا المقصد العظيم هو المنصوص عليه في كلام ابن عاشور فيما ما ذكره من أنّ المقصد العام الأعظم من إنزال القرآن الكريم هو إصلاح الاعتقاد وتعليم الناس العقد الصحيح؛ بما يقطع عنهم العلائق من دون الله ويزيل عنهم العوائق التي تمنع القلوب من الإنابة والرجوع إليه(٢).

خامسًا: سورة الحِجْر:

قال تعالى:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الحجر: ١-٣].

سورة الحجر مكيّة إلا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾.

وقد افتتحها الله عز وجل بعد حروف التهجّي بالإشارة إلى آيات الكتاب وعطف عليه ذكر القرآن منكّرا ووصفه بأنّه مبين.

---

(١) منصور بن محمد السمعاني. *تفسير القرآن*. تح: ياسر بن إبراهيم. (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ)، (١٠٢/٣).

(٢) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

يقول الرازي:" اعلم أن قوله: تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والمراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم، وتنكير القرآن للتفخيم، والمعنى: تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان"(١).

ووصف القرآن الكريم بأنّه مبين سبق توضيح معانيه وإبراز المقاصد التي تضمّنها بما لا حاجة إلى إعادته في هذا الموضع، ويكتفى بما مضى في فواتح سورة يوسف في قوله تعالى:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾.

سادسًا: سورة طـــه:

قال تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ [طه:١-٢].

سورة طه مكيّة، وقد ورد في مطلعها بعد الحروف المقطعة بيان المقصود من الوحي وإنزال القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي معنى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بنفي الشقاء عمّا أنزل عليه ثلاثة أوجه:" أحدها: بالتعب والسهر في قيام الليل، قاله مجاهد. الثاني: أنه جواب للمشركين لما قالواْ: إنّه بالقرآن شقى، قاله الحسن. الثالث: معناه لا تشْقَ بالحزن والأسف على كفر قومك، قاله ابن بحر"(٢).

يقول السعدي في بيان المعنى الإجمالي للآية:" ليس المقصود بالوحي وإنزالِ القرآن عليك وشَرْعِ الشريعة لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شَرَعَه الرحيمُ الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول

(١) السعدي، (ص:٤٢١).
(٢) الماوردي،(٣/٣٩٣).

المستقيمة بالقبول والإذعان، لِعِلْمِها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة، ولهذا قال:﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنها مجملا فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله"(١).

وهذا المعنى والمقصد مستند إلى قاعدة وهي أنّ النفي المحض ليس مدحًا، وإنّما المدح في كمال الصفة المنفية، فلمّا نفي عمّا أنزل من القرآن صفة الشقاوة علم أنّه ما أنزل إلا ليبلغ مبتغيه السعادة بل أتمّها وأكملها(٢).

وعليه فإنّ أعظم المقاصد التي جاء بها القرآن الكريم وتضمّنتها هذه الآية انتشال الناس من الشقاء والعَنَت إلى انشراح الصدور والتفاؤل وتحقيق السعادة في الدارين، وبقدر تَـــمـــسُّك الإنسان بهذا القرآن تلاوةً وتدبرًا وعملاً يكون له النصيب من هذه السعادة، قال تعالى عن حال أهل الطاعة:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧]، وقال عن أهل العصيان والكفر:﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

---

(١) السعدي، (ص:٥٠١).

(٢) قال ابن تيمية: وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحًا أو كمالا. ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال. أحمد ابن تيمية. *التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع*. تح: د. محمد بن عودة السعوي. (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠م)، ص/ ٥٧.

وهذا المقصد العظيم وإن لم ينصّ عليه الطاهر ابن عاشور فيما ذكره من المقاصد إلّا أنّه مضمّنٌ فيما ذكره جميعه لأنّه غاية المقاصد ومنتهاها، فصلاح الدين والدنيا ونعيم الدنيا والآخرة سعادة.

سابعًا: سورة الشعراء:

قال الله تعالى:﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[الشعراء:١-٣].

سورة الشعراء مكية، وقد افتتحت بعد حروف التهجّي بالإشارة إلى القرآن بلفظ الكتاب، ثم وصف الكتاب بالبيان، ووصف الكتاب أو آياته بالبيان مضى في سور يوسف في قوله تعالى:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [يوسف:١]، وبيّنت عندها أوجه البيان وما تضمّنته من المقاصد؛ لكن لا بأس من تلخيص ذلك هنا بما يناسب المقام.

وخلاصته أنّ القرآن بيّن فيه التوحيد والمطالب الإلاهية والمقاصد الشرعية، وبين فيه الحلالُ والحرام والهدى والرشاد، وأنّه مبيّنٌ للحق من الباطل، وكذلك مبيَّنٌ فيه قصصَ وأحوال السابقين، وأنّه هو نفسه آية بيّنة ظاهرة معجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: وقوله:﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾"أي: هذه آيات القرآن المبين، أي: البين الواضح، الذي يفصل بين الحق والباطل، والغي والرشاد"(١).

ويقال السعدي عند هذه الآيات:" يشير الباري تعالى إشارة، تدل على التعظيم لآيات الكتاب المبين البين الواضح، الدال على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه شك ولا شبهة فيما أخبر به، أو حكم به لوضوحه ودلالته على أشرف المعاني وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسبها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينذر به الناس، ويهدي به الصراط المستقيم،

(١) ابن كثير، (١٣٥/٦).

فيهتدي بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يحزن حزنا شديدا، على عدم إيمانهم، حرصا منه على الخير، ونصحا لهم".(١)

وأمّا ما حواه هذا الوصف للقرآن من مقاصد وعلاقته بما ذكره الطاهر ابن عاشور فيكتفى بما ذكر في سورة يوسف من العلاقة والمناسبة.

ثامنا: سورة النمل:

قال الله تعالى: ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النمل: ١-٢].

سورة النمل مكية، افتتحها الله عز وجل بعد حروف التهجي [طس] بالإشارة إلى الآيات مضافة إلى القرآن الكريم وعطف عليها الكتاب موصوفا بالبيان، وهذا عكس ما جاء في سورة الحجر فقد قال تعالى فيها: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر: ١].

قال الرازي:" فإن قلت: ما الفرق بين هذا وبين قوله: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر: ١] ؟ قلت: لا فرق لأنّ واو العطف لا تقتضي الترتيب"(٢).

ثمّ ذكر وصفين للقرآن الكريم بقوله: ﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، أمّا وصف الهداية فقد مضى بيانه على الانفراد في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ هُدٗى للمتقين ﴾، وأمّا كونه مقترناً بالبشارة للمؤمنين فقد بيَّن ابن كثير مَن الـمُنتَفِع الحقيقي بهذه البشارة المذكورة، فقال:" إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال، خيرها وشرها، والجنة والنار"(٣).

---

(١) السعدي، (ص:٥٨٩).

(٢) الرازي، (٢٤/٥٤٠).

(٣) ابن كثير، (٦/١٧٨).

إنّ من المقاصد التي جاءت في صدر سورة النمل التأكيد على أنّ القرآن كتاب مبين، جاء بأوضح الدلالات وأقوى البينات وأبينها على أجل المطالب، وأفضل المقاصد وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات تدلّ على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، على طبق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صونا لها عمن لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم.

هذه المعاني الجميلة والمقاصد الرفيعة التي جاء بها القرآن لا شكّ أنّها تتضمّن المعاني والمقاصد العامة التي ذكرها الطاهر ابن عاشور.

تاسعًا: سورة القصص:

قال الله تعالى: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ١-٤].

سورة القصص مكية، افتتحت بعد أحرف التهجّي بذكر القرآن الكريم بلفظ الكتاب موصوفا بالبيان، قال تعالى: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾.

ووصف القرآن الكريم بالبيان سبق في سورة في يوسف، قال الله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١]، وفي سورة الحجر، قال: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر: ١]، وفي سورة الشعراء: قال: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ

﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [الشعراء:١-٢]، وفي سورة النمل: قال: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾ [النمل:١].

وعليه يكتفى بما سبق التنبيه عليه من معاني البيان التي اشتمل عليها القرآن الكريم، والمقاصد التي تضمّنها، وعلاقتها بما ذكره الطاهر ابن عاشور في المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم.

لكن لا بأس أن نذكر شيئا من المعنى الإجمالي للآية.

يقول السعدي رحمه الله:"﴿ تِلۡكَ ﴾ الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم﴿ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ لكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد، ووضحها.

ومن جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون، فإنه أبداها، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال:﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ فإن نبأهما غريب، وخبرهما عجيب. ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يقبلون به على تدبر ذلك، وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانا ويقينا، وخيرا إلى خيرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابًا أن يفقهوه"(١).

(١) السعدي، (ص:٦١١).

المبحث الثاني: مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال السور المفتتحة بأحرف التهجّي من الــمثاني والمفصَّل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في الــمثاني:

أولا: سورة لقمان:

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان:١-٤].

سورة لقمان مكية، افتتحت بعد أحرف التهجّي بالإشارة إلى القرآن الكريم بلفظ الكتاب موصوفا بـــ ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾، وهذا الآية سبق التنويه بما تضمّنته من مقاصد اشتمل عليها هذا الوصف في قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ في سورة يونس.

ثمّ جاء بعد هذا ذكر وصفين آخرين للقرآن الكريم وهما الهداية والرحمة.

قال الطبري: وقوله: ﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ "يقول: هذه آيات الكتاب بياناً ورحمة من الله، رَحِمَ به من اتبعه وعَمِلَ به من خَلْقِهِ"(١).

والإشارة بـــــ ﴿ تِلۡكَ ﴾ في الآية الكريمة – كما سبق في مواضع–فيها دلالة وإشارة على تعظيم هذا الكتاب، وتعظيم كلّ ما حواه خيري الدنيا الآخرة.

ومقصد الهداية مضى الكلام عليه في سورة البقرة عند قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١-٢].

وأمّا مقصد الرحمة؛ فكتاب الله عز وجل جاء رحمة للعباد؛ بما تضمّنه من مصالح ومنافع خاصة وعامة، وبما أرشدهم إليه بما يتوافق مع فطرهم من اعتقادات وتشريعات، ورحمة تحصل لهم بها السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء.

---

(١) الطبري، (٢٠/ ١٢٤).

والكلام على مقصد الرحمة كمقصد من مقاصد إنزال القرآن الكريم أمر يتناهى لكلّ ناظر وكل متدبّر لكتاب الله، فالله عز وجل من أسمائه الرحمن الرحيم، وكتابه القرآن جعله الله رحمة للعباد بما اشتمل عليه من إعجاز في اللفظ والمعنى وبما جعل فيه من الشفاء والخير والبركة والنفع الكثير، ما لا يستطيع الوقوف على حدوده ناظر، فبلغ في الرحمة غايتها، وبهذا المعنى فهو يلاقي كلّ المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم التي ذكرها الطاهر ابن عاشور؛ فإصلاح المعتقد وتهذيب الأخلاق رحمة بالعباد، وتعليمهم كيف يسوسون الأمة رحمة بهم وتحقيق سعادتهم، مع ما تضمّنه من القواعد التشريعية العامة والفروع العملية الخاصة سواء في العبادات أو المعاملات، وما صحلب ذلك من البشارة والنذارة، ولم يغفل كذلك جانب الأخبار عن قصص الأمم السابقة لما فيها من العبرة، هذا كلّه ليعلم علم اليقين أنّ القرآن معجز في لفظه جليل في قدره عظيم في معانيه(١).

ثانيا: سورة السجدة:

قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [السجدة: ١-٣].

سورة السجدة مكية، افتتحها الله عز وجل بعد أحرف التهجّي بالإخبار بأنّ القرآن الكريم منزّل من عند الله رب العالمين لا شك في ذلك ولا ريب.

وهذه الصفة تقدّم الكلام عليها في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ﴾ [البقرة: ١-٢]. وما تضمنته من مقاصد.

وفي تخصيص أو إضافة تنزيل القرآن باسم رب العالمين مناسبة جميلة، وهي: أن هذا الكتاب الكريم المنزل من رب العالمين، الذي ربى عباده بنعمته، ومن أعظم

(١) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

ما رباهم به هذا الكتاب، الذي فيه صلاح أحوالهم، وتمام أخلاقهم، وأن هذا الكتاب لا ريب فيه، ولا شك، ولا امتراء، ثم الباري عز وجل قد أَبْطَلَ ما افتراه المكذبون بأنّ القرآن من عند النبي ﷺ فقال:﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أنزله رحمة للعباد ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: في حالة ضرورة وفاقة لإرسال الرسول وإنزال الكتاب؛ لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه [١].

والآيات كما تضمّنت مقصد اليقين بالقرآن الكريم بنفي الشك والريب عنه ووصفه بأنّه الحق وأنّه مشتمل على علم اليقين المزيل للتردد والحيرة، وأنّه في علوّ الشأن، وسطوع البرهان، والوضوح قد بلغ إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه، كذلك تضمّن النصّ على أمر الإنذار وهو من المقاصد التي جاء القرآن الكريم بها، وقد سبق التعرض له عند الكلام على سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١-٢].

ونفي الشك والريب عن القرآن وأنه الحق تنزيل من رب العالمين يشير إلى صِدْق النبي ﷺ وأنّها قضية لا يعتريها أيّ شك، وهي ما أكَّد عليه اللهُ تعالى في مواضع كثيرة في كتابه العزيز، ومنها ما ذُكِر في صدر هذه السورة، ولا يُخبِر الصادق المصدوق إلاّ بما يُخْرِج الناسَ من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، وهذا التبليغ تارةً يكون بالوعد والوعيد وبالترغيب والترهيب وبالتحذير والتبشير حسب ما يقتضيه الحال.

(١) انظر بتصرف: السعدي، (ص:٦٥٣).

قال مكي بن أبي طالب:" والمعنى: تنزيل الكتاب المنزل على محمد لا شك فيه أنه من رب العالمين، وليس بسحر ولا سجع ولا كهانة ولا كذب. وهذا تكذيب لمن قال ذلك في القرآن من المشركين"(١).

وفي قوله تعالى:﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بيان لِعِلَّة إنزال القرآن الكريم، فإنذار أهل الغفلة مِن أعظم مقاصد إنزال القرآن الكريم.

وفي إضافة النبي ﷺ إلى اسم (الرب) دون غيره من أسماء الله الحسنى في قوله تعالى:﴿مِن رَّبِّكَ﴾ دلالة على العناية به ﷺ والإحاطة والرعاية والكفاية، فميدان الدعوة إلى الله تعالى ودِينه محفوف بالمخاطر والمعوقات والصعوبات، والتي أشد ما يكون العبد فيها محتاجًا إلى التثبيت والتأييد والكفاية، وفي هذه الإضافة شَرَف لا يتحصَّل عليه إلاَّ ذو حظٍّ عظيم.

وهنا يذكر ابن عاشور العِلَّة في افتتاح هذه السورة فيقول:" افتتحت السورة بالتنويه بشأن القرآن لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها، ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، فالله جعل القرآن هدى للناس وخص العرب أن شرفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب، وبأن أنزله بلغتهم، فكان منهم أشد المكذبين بما جاء به، لا جرم أن تكذيب أولئك المكذبين أعرق في الضلالة وأوغل في أفن الرأي. وافتتاح الكلام بالجملة الاسمية لدلالتها على الدوام والثبات"(٢).

ثالثا: سورة يس:

قال الله تعالى:﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ١-٦].

(١) مكي بن أبي طالب القيسي. *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن*. تح: مجموعة رسائل جامعية. بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي. (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م)، (٥٧٤٤/٩).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠٥/٢١).

سورة يس مكية، افتتحها الله عز وجل بعد حروف التهجي بالقسم بالقرآن الحكيم، على أنّ النبي محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من رب العالمين حقًّا.

قال البغوي: "أقسم الله بالقرآن أنّ محمدًا ﷺ من المرسلين، وهو ردٌّ على الكفار حيث قالوا:﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾"[الرعد: ٤٣](١).

وفي المناسبة بين المقسم به وهو القرآن الحكيم والمقسم عليه وهو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم يقول السعدي:" ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، [وهو] رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفى به دليلا وشاهدا على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلّة القرآن كلّها أدلة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم"(٢).

وفي القَسَم في هذه الآية بـــــــ:﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ سرٌّ بديعٌ ذَكَره القاسمي في تفسيره حيث قال:" ولَــمَّا كانت منزلة الحكمة من المعارف منزلة الرأس، وكانت أخص أوصاف التنزيل؛ أوثرت في القسم به دون بقية صفاته لذلك، وفي قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ فيه التنويه بالقرآن الكريم وأنّه منزّل من الله العزيز الرحيم؛ وفي ذكر هذين الاسمين إشارة إلى أنّ القرآن محميّ بعزة الله عن التغيير والتبديل، وأنّه تعالى رحم به عباده رحمة اتصلت بهم حتى أوصلتهم إلى دار رحمته" (٣).

ثم ذكر مقصدا من مقاصد إنزال القرآن الكريم وهو النذارة وقد سبق في سورة الأعراف عند قوله تعالى:﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ [الأعراف:١-٢].

---

(١) البغوي، (٥/٤).

(٢) السعدي، (ص:٦٩٢).

(٣) القاسمي، (٨/ ١٧٣).

رابعا: سورة ص:

قال الله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴾ [ص: ١-٤].

سورة ﴿ صٓ ﴾ مكية، افتتحها الله عز وجل بحرف التهجّي (صاد)، ثمّ أقسم بعدها بالقرآن، فقال: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾، ثم ذكر حال الكفار مع القرآن، وأنهم في تعزز ومخالفة ومخاصمة للرسول ولما جاء به، ثم ذكر من أهلك من القرون التي شاقت الرسل ليتعظوا؛ فقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ الآيات.

قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ "أي: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد"(١).

وهذا الوصف للقرآن يتضمّن مقصدين من مقاصد القرآن الكريم:

أحدهما: الانتصار للقرآن الكريم، وتعظيم منزلته وتعزيز اليقين بما جاء به.

والآخر: البيان والتذكير والتنويه بما تضمّنه من العلم والأحكام والمواعظ والقصص ممّا يحتاجه العباد في دينهم.

والوصف للقرآن بأنّه ذو القدر والشرف العظيم هو أصل المقاصد وأعظمها لما يحمله هذا الوصف من السكينة واليقين القلبي بأنّ القرآن منزّل من عن الله حقا وصدقا، كما أنّ الوصف الآخر بأنّه مذكّر للعباد، فيه اشتماله على كل ما يحتاجونه من العلم والأحكام وغيرها في أصول الدين وفروعه، في عباداتهم ومعاملاتهم.

وبالمقارنة بين هذين الوصفين وبما ذكره الطاهر ابن عاشور من المقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم، نجد أنّها أعمّ، وأنّها متضمنة لما ذكره وفصّله، لأنّ الشرف والعظمة للقرآن الكريم هو وصف كليّ يندرج تحت مسمّاه كل معاني النفع والخير

(١) انظر: ابن كثير، (٥١/٧).

والصلاح، من كونه شريفا في نفسه لإعجازه واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره، وكذلك المعنى الآخر الذي هو التذكير والبيان، هو يحمل تلك المعاني ويشير إليها(١).

ووصفُ القرآن بـــــــ ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ذكر له المفسرون معان أهمّها اثنان:

الأول: أنّه ذو الشرف والقدر العظيم، ومنه قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ }[سورة الزخرف:٤٤]. أي: شرف لكم.

والثاني: أنّه فيه التذكير والبيان لما يحتاجه العباد من العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وما يحتاجونه من العلم بأحكام الشريعة، وما فيه من العبرة من قصص الأولين والآخرين، وما فيه من العلم بأحكام المعاد والجزاء؛ فهو مذكّر لهم في أصول دينهم وفروعه(٢).

خامسًا: سورة غافر:

قال الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣].

سورة غافر وتسمّى سورة المؤمن، مكية، افتتحها الله عز وجل بعد حرفي التهجي ﴿حمٓ﴾ بالخبر عن القرآن بأنّه منزّل من عند الله المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال والعظمة، وذكر صفات لذاته العليّة، فقال تعالى:﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وفي ذِكْر الوصفين ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ بعد قوله تعالى:﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ دلالةٌ على أن نزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ دون غيره من الناس لِعِلْم الله تعالى بأنه هو المستحق للتشرف بـــحَمْل هذه الرسالة العظيمة التي فيها عزة له ولقومه في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

(٢) انظر: السعدي، (ص:٧٠٩). محمد الأمين الشنقيطي. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـــ- ١٩٩٥م)، (٣٢٦/٦).

وفي ذلك يقول البيضاوي:" لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾ صفات أخرى لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه"(١).

ويقول السعديّ مفصّلا ذلك بأوسع من ذلك:" ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف أنّ هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن، من المعاني.

فإنّ القرآن: إما إخبار عن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وهذه أسماء، وأوصاف، وأفعال.

وإمّا إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة، فهي من تعليم العليم لعباده.

وإمّا إخبار عن نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك، من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله:﴿ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾.

وإمّا إخبار عن نقمه الشديدة، وعما يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله:﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾.

وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فذلك يدل عليه قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾.

وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. وإما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾. فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات"(٢).

---

(١) البيضاوي، (٥/٥١).

(٢) السعدي، (ص:٧٣١).

وذكر بعض الأسماء الحسنى في سياق الإخبار عن تنزيل القرآن العظيم تكرر كثيرا، كقوله تعالى في أول هذه السورة: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾، وفي غيرها من الآيات.

يقول محمد الأمين الشنقيطي:" ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح، على عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأنه وأهمية نزوله"(١).

وانطلاقا من هذين النصوص لهؤلاء المفسرين نعلم أنّ فواتح هذه السورة تدلّ عموما على شرف القرآن وعظيم منزلته وعلوّ منزلته، فهي مؤكّدة على المبدأ العام لهذه السور المفتتحة بأحرف التهجّي، وهو الانتصار للقرآن الكريم، كما نصّ على ذلك ابن كثير رحمه الله.

سادسا: سورة فصلت:

قال الله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [فصلت: ١-٤].

سورة فصلت مكية، افتتحت بعد حرفي التهجي ﴿ حمٓ ﴾ بالخبر عن القرآن العظيم أنّه صادر﴿ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الذي وسعت رحمته كلّ شيء، ثمّ أثنى الله عز وجل على هذا الكتاب بتمام البيان بقوله:﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ ، ثم ذكر مقصدين عظيمين من مقاصد إنزاله، فقال:﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾.

ومجمل ما تضمنه صدر هذه السورة هو التأكيد على أن هذا الكتاب المبارك قد اشتمل على أحكامٍ تشريعية عامة وخاصة فيها نفع للعباد في حياتهم الدينية والدنيوية،

(١) الشنقيطي، (٣٥٢/٦).

وإن الترغيبَ والترهيبَ خيرُ ما يدفع الناس للامتثال للأوامر والابتعاد عن النواهي، ففيهما وعدٌ لأهل الإيمان بالنجاة والفوز ووعيد للكفرة المعاندين بالنكال والعذاب.
وفي كلّ خبر عن القرآن من هذه الأوصاف يتضمّن مقاصد عظيمة من إنزاله، وقد أبدع الإمام الرازي في استخراج واستنباط ذلك لكلّه بعبارات جميلة لطيفة، لخصتها فيما يأتي.

في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وكون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم، يدل على أنّ التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لأنّ الفعل المقرون بالصفة لا بدّ وأن يكون مناسبا لتلك الصفة، فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة، فيكون التنزيل المضاف إليهما دالا على أعظم وجوه الرحمة والنعمة، والأمر في نفسه كذلك، لأن الخلق في هذا العالم كالمرضى والزمنى والمحتاجين، والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية وعلى كل ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية، فكان أعظم النعم عند الله تعالى على أهل هذا العالم إنزال القرآن عليهم.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ﴾، والمراد أنّه فرقت آياته وجعلت تفاصيل في معان مختلفة؛ فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات الكمال والجمال والجلال له سبحانه، وشرح تفاصل كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب أحوال خلقه السموات والأرض والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب أحوال النبات والحيوان والإنسان، وبعضها في أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح، وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب درجات أهل الجنة ودرجات أهل النار، وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس، وبعضها في قصص الأولين وتواريخ الماضين، وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة مثل ما في القرآن.

وقوله تعالى:﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ يعني بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للمجرمين بالعقاب (١).

وقد سبق في الكلام على سورة غافر التنبيه على أنّ ذكر بعض أسماء الله الحسنى عند الإخبار بتنزيل الكتاب دال على عظمة القرآن وشرفه وأنّ من آثار تلك الأسماء الحسنى تنزيل هذا القرآن العظيم.

وعليه يكون المقصد من ذكر الكتاب مضافا تنزيله إلى الرحمن الرحيم فيه تنويه بشرف القرآن وعظمته، وهو من مظاهر الاعتزاز بالقرآن والانتصار له.

وأمّا وصف القرآنَ في الآية بعدها بأنّه{﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ فقد مضى الكلام على معنى التفصيل في قوله تعالى في صدر سورة هود:﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١]، وكان إذ ذاك مقترناً بوصف الإحكام، وههنا ورد منفردًا، فيكون معناه أوسع وأعمّ، وقد سبق ذكر كلام الرازي في ذلك.

ويقول الزمخشري:" ﴿ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة: من أحكام وأمثال ومواعظ، ووعد ووعيد، وغير ذلك. وقرئ: فصلَت، أي: فرّقت بين الحق والباطل"(٢)

وعليه يكون هذا المعنى للتفصيل مرادفا لمعنى البيان الذي وصف به القرآن الكريم، كما في قوله تعالى في سورة يوسف:﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف:١]، وكما في قوله تعالى في سورة الحجر:﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر:١].

وهذا الوصف بالتفصيل للآيات وللكتاب وما تضمّنه من المقاصد سبق موضعه من السورتين.

---

(١) ينظر: الرازي، (٢٧/٥٣٧-٥٣٨).

(٢) محمود بن عمرو الزمخشري. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٧هـ)، (٤/١٨٤).

وأمّا وصف القرآن بكونه﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾، فالقول في هذين الوصفين مضى الكلام عليه على سبيل الانفراد، فوصف النذارة جاء في صدر سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١-٢]، ووصف البشارة جاء في صدر سورة النمل، وذلك في قوله تعالى:﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النمل:١-٢]، والكلام فيما تضمّنه هذا الوصفان من مقاصد وعلاقته بالمقاصد العامة من إنزال القرآن الكريم يراجع فيه الموضعان المذكوران.

سابعا: سورة الشورى:

قال الله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الشورى:١-٤].

سورة الشورى مكية، افتتحها الله عزو جل بأحرف التهجّي﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾، ثمّ أخبر بأنّ ما يوحي إليه من القرآن هو من جنس ما أوحاه الله إلى الرسل والأنبياء قبله، وأنّ مضمون ما جاء في هذا القرآن موافق لما في الكتب المنزلة على الرسل المتقدمين، ومتحد معها في أصول الدّين، من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق(١).

قال النّسفي:" والمعنى أنّ الله كرّر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده"(٢).

وقال المراغي:" أي: بمثل ما في هذه السورة من الدعوة إلى التوحيد والنبوة والإيمان باليوم الآخر وتجميل النفس بفاضل الأخلاق وإبعادها عن رذائل الخلال

(١) ينظر: رشيد الخطيب الموصلي. *أولى ما قيل في آيات التنزيل*. اعتنى به: مجد أحمد مكي. (الأردن: أروقة للدراسات والنشر،٢٠١٤م)، (٣٣/٦).

(٢) النسفي، (٢٤٤/٣).

والعمل على سعادة المرء والمجتمع، يوحى إليك الله العزيز في مُلْكِه، الغالب بقهره، الحكيم بصنعه، المصيب في قوله وفعله، كما أوحى إلى الأنبياء بمثله من قبلك"[١].

والناظر فيما ذكره هؤلاء المفسرون يلحظ المقصد الذي نوّهت به هذه الآية، وهو العناية بالوحي، وأنّه مصدر كلّ خير ونفع للخلق، وأنّ الرسل إنّما جاءت به من عند الله لتؤدي هدف الرسالة، وهو تحقيق التوحيد لرب العالمين، والهداية إلى الطريق المستقيم[٢].

ثامنا: سورة الزخرف:

قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزخرف:١-٤].

سورة الزخرف مكية، بدأها الله عز وجل بعد حرفي التهجّي (الحاء والميم)، بالقسم بالكتاب الذي هو القرآن موصوفا بالبيان على أنّ القرآن أنزل وجعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها؛ ليعقل العباد ألفاظه ومعانيه، وعلى أنّ القرآن العظيم موصوف في أمّ الكتاب أنّه عليّ حكيم.

وأوّل السورة وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ هو مطابق من جهة المعنى لما جاء في صدر سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف:١-٢]، من جهة التنويه بالقرآن بلفظ الكتاب موصوفا بالبيان، إلّا أنّه في سورة يوسف جاء بلفظ الإشارة إلى الآيات مضافة إلى الكتاب، وفي سورة الزخرف أقسم بالكتاب موصوفا بالبيان، ثم في الآية الأخرى أخبر بأنّ القرآن جاء بلسان

(١) أحمد بن مصطفى المراغي. *تفسير المراغي*. (مصر: مكتبة مصطفى البابى الحلبي،١٣٦٥هـ)، (١٤/٢٥).

(٢) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٥/٢).

عربي ليعقله الناس، وفي سورة يوسف عبّر بالإنزال للآيات، وفي سورة الزخرف عبّر بلفظ الجعل، وكلٌّ بمعنى واحد.

ومعنى البيان وما اندرج تحته من المقاصد والحكم سبقت الإشارة إليه في الموضع الأوّل من سورة يوسف، فيكتفى به، لكن لا بأس بذكر معنى الآيات ههنا.

يقول ابن كثير:" يقول تعالى:﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ أي: البيّن الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنّه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس؛ ولهذا قال:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ ﴾ أي: أنزلناه ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ أي: بلغة العرب فصيحا واضحا، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ أي: تفهمونه وتتدبرونه.

وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ بيَّن شرفَه في الملأ الأعلى، ليشرِّفَهُ ويُعظِّمَه ويطيعَه أهل الأرض، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: اللوح المحفوظ،.. ﴿لَدَيۡنَا ﴾ أي: عندنا، ﴿لَعَلِيٌّ ﴾ أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل،﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: محكم بريء من اللبس والزيغ. وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله"(١).

وبقي من أوصاف القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.

يقول الرازي:" الصفة الثالثة: كونه عليًّا، والمعنى كونُه عالِيًا عن وجوه الفساد والبطلان، وقيل: المراد كونه عاليا على جميع الكتب بسبب كونه معجزا باقيا على وجه الدهر.

الصفة الرابعة: كونه حكيما أي مُحكَما في أبواب البلاغة والفصاحة، وقيل: حكيم أي ذو حكمة بالغة، وقيل: إنّ هذه الصفاتِ كلِّها صفاتُ القرآن".(٢)

(١) ابن كثير، (٢١٨/٧).

(٢) الرازي، (٦١٨/٢٧).

ويقول السمعاني:" وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: رفيع لا يناله أحد بتبديل ولا تغيير.

وقوله:﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: أحكمت آياته لا يزاد فيها ولا ينقص"(١).

ويقول السعدي:"﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: هذا الكتاب﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها ﴿ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حُكْمٌ مخالف للحِكْمة والعدل والميزان"(٢).

وانطلاقا من كلام هؤلاء المفسرين حول هذين الوصفين نعلم أنّ:

١- جماع ما ذكره هؤلاء المفسرون لمعنى لقوله:﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ يرجع إلى معاني الرفعة والعلوّ والشرف؛ فهو عال عن وجوه الباطل والفساد والتغيير والتبديل، عال على جميع الكتب مهيمن عليها لكونه معجزا باقيا على مدى الدهر، وهو عليّ في قدره وشرفه ومحلّه.

٢- وأمّا وصفه بأنه﴿ حَكِيمٌ ﴾: فكلام المفسرين فيه يدور على معنى الإحكام والإتقان في أبواب البلاغة والفصاحة، وأنّ آياته محكمة عن الزيادة والنقص، مشتملة على الحكم البالغة.

ومعاني وصف (الحكيم) مضى الكلام ليها تفصيلا في قوله تعالى في سورة يونس، وهذه المعاني الجليلة لهذين الوصفين ترجع إلى مقصد عظيم من مقاصد إنزال القرآن الكريم، وهو الانتصار وتعظيم القرآن الكريم، وأنّه المعجزة الخالدة والآية الأبديّة، وأنّه مصدر كلّ عزّ وشرف ورفعة، وهذا ما نصّ عليه الطاهر ابن عاشور في المقصد الثامن من مقاصد إنزال القرآن الكريم وهو مقصد الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم(٣).

---

(١) السمعاني، (٩١/٥).

(٢) السعدي، (ص:٧٦٢).

(٣) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٦/٢).

تاسعا: سورة الدخان:

قال تعالى:﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[الدخان:١-٣].

سورة الدخان مكية، افتتحها الله عز وجل بعد حرفي التهجي﴿حمٓ ﴾ بالقسم بالكتاب موصوفا بالبيان، والمقسوم عليه ذكره بعدُ وهو إنزال هذا القرآن في ليلة شريفة هي ليلة القدر.

يقول الرازي:" ويجوز أن يكون المراد به –الكتاب– القرآن، وبهذا التقدير فقد أقسم بالقرآن على أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن"(١).

والإنزال المذكور ذكر له أهل التفسير قولين: أحدهما: أنه أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم كان جبريل عليه السلام يأتي به شيئا فشيئا إلى أن أنزل جميعه.

والقول الثاني: أن المراد بالإنزال هاهنا ابتداء الإنزال (٢).

ووصف القرآن بالبيان تكرّر غير مرة في أوائل سور يوسف، والحجر، والشعراء، والنمل، والقصص، والزخرف، وفيه ذكرت صور البيان وما تضمّنه من مقاصد، وما ورد في هذه السورة هو التأكيد على أن القرآن الكريم قد حوى مِن التشريعات والأحكام التي فيها صلاح العباد والبلاد، وقد بيَّنها أتـــمَّ بيانٍ، ولابد مِن وجود ثواب لـــمَن امتثل هذه الأحكام والتشريعات وعقاب لـــمَن عاند واستكبر.

قال السمعاني:" أي: الكتاب الذي بَيَّنَ فيه الحلال والحرام، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد"(٣).

---

(١) الرازي، (٦٥٢/٢٧).

(٢) السمعاني، (١٢١/٥).

(٣) المصدر نفسه، (١٢١/٥).

وفي وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمُبِينِ ﴾ يقول ابن عطية: "يحتمل أن يكون من الفعل المتعدي، أي: بَيَّنَ الهدى والشرع ونحوه، ويحتمل أن يكون من غير المتعدي، أي: هو مبين في نفسه"(١).

وفي مجيء قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ بعد ذِكْر إنزال القرآن الكريم؛ إشارة إلى أنه سيكون هناك معانِدون لن يؤمنوا فيه، ولن يـــمتثلوا بـــما فيه، فهؤلاء لن يُـــجْدِ معهم إلاّ الإنذار والوعيد كي يقلعوا عمَّا هم عليه من الكفر والعناد.

عاشرًا: سورتا الجاثية والأحقاف:

قال تعالى في سورة الجاثية:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، وقال في سورة الأحقاف: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:١-٣].

وإنّما جمعت بين هتين السورتين في موضع واحد لتواليهما في الترتيب، ولتكرّر الآية نفسها التي ورد فيها ذكر الكتاب بعد حرفي التهجّي (الحاء والميم)، وهي قوله تعالى:﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾، والسورتان مكيّتان.

يقول الماورديّ:" وفي إضافة التنزيل إليه في هذا الموضع وفي أمثاله وجهان: أحدهما: افتتاح كتابه منه كما يفتتح الكاتب كتابه به. الثاني: تعظيماً لقدره وتضخيماً لشأنه عليه في الابتداء بإضافته إليه"(٢).

يقول السعديّ في تفسير آيات سورة الجاثية:" يخبر تعالى خبرا يتضمّن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به وأنّه﴿ تَنزِيلُ ﴾ ، ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال وانفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة.

(١) ابن عطية، (٦٨/٥).
(٢) الماوردي، (٢٦٠/٥).

ثم أيّد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية من خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من الدواب وما أودع فيهما من المنافع وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد.

فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال وعلى البعث والنشور"(١).

ويقول في تفسير سورة الأحقاف:" هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره والإقبال على تدبر آياته واستخراج كنوزه.

ولمّا بيّن إنزال كتابه المتضمّن للأمر والنهي ذكر خلقه السماوات والأرض فجمع بين الخلق والأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ "(٢).

ومن خلال هذين النقلين يتبيّن جليّا الاهتمام العظيم والعناية الكبيرة التي حملتها أوائل هذه السور المفتتحة بأحرف التهجّي في موضوع الانتصار للقرآن الكريم وبيان شرفه ورفيع درجته، والتنويه بهداياته وأنّه كتاب بيان وهدى وبشارة وخير ومصلحة، وأنّه معجز بكل ما فيه من ألفاظ وأحكام وقصص وغيرها.

واقتران الخبر عن تنزيل الكتاب بالوصف للباري جلّ وعلا بالعزيز الحكيم لا يخلو من مناسبة، أشار إليها السعديّ في سورة الزمر في أوّل آياتها في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، فقال:" يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلّم به ونزل منه، وأنّه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزّة التي قهر بها كلّ مخلوق، وذلّ له كلّ شيء، والحكمة في خلقه وأمره.

---

(١) السعدي، (ص: ٧٧٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص: ٧٧٩).

فالقرآن نازل ممّن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلّم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أنّ الله تعالى هو الكامل من كلّ وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته"(١).

ويقول المراغي:" أي: إنّ هذا الكتاب الكريم أنزله العزيز الغالب القاهر لكلّ شيء، الحكيم في تدبيره لكل ما خلق، فهو سبحانه مع قهره للعوالم المادية والروحية، لا يتصرف إلا بالحكمة كما يشاهد في النبات والحيوان والأجسام الإنسانية ودوران الكواكب وانتظامها في سيرها، فكلّ ذلك من القهر والغلبة لها مع الحكمة في صنعها"(٢).

المطلب الثاني: الــمُفَصَّل: سورة ق:

قال الله تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾ [ق:١-٤].

سورة ق مكيّة افتتحت حرف التهجّي ﴿ قٓ ﴾ بالقسم بالقرآن موصوفا بالمجد، ثمّ أتبع ذلك ذكر حال الكفار مع اصطفاء الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم للرسالة.

جاء في صدر سورة ق التأكيد على أن هذا القرآن المنزل من عند الله قد عَمَّت بركته كُلَّ مَن أخذه وعمل به، فبقدْر قُرْب العبدِ مِن هذا الكتاب المجيد وتمسكه فيه؛ يناله مِن المجد والرفعة في الدنيا والآخرة، ومِن المقاصد المذكورة في صدر هذه السورة أيضًا التأكيدُ على بشرِّية رسول الله محمدﷺ وعلى حقيقة البعث والنشور الذي قد أنكرها المشركون.

(١) المصدر نفسه، (ص: ٧١٧-٧١٨).

(٢) المراغي، (٢٥/ ١٤٠).

قال الزمخشري:" والمجيد: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، ومن أحاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه: مجد عند الله وعند الناس، وهو بسبب من الله المجيد، فجاز اتصافه بصفته. قوله:﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته، ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفرفًا عليهم، خائفًا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه"(١).

وفي وصف القرآن بالمجيد عدَّة لطائف ذَكَرها السعدي في تفسيره فقال:" والمجد: سِعَة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه، وسرعة الانقياد له، وشكر الله على المنة به، ولكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها"(٢).

وهذا الوصف للقرآن بالمجد يضاف إلى سياق الآيات في السور المفتتحة بأحرف التهجّي وما تضمّنته من الإشارة إلى مقصد الانتصار للقرآن الكريم، وتعظيمه وتشريفه، وبيان إعجازه في ألفاظه ومعانيه، وأنّه مصدر كلّ خير وشرف ورفعة لمن آمن به واهتدى بما جاء فيه، وتفكّر في آياته وتدبّر في مقاصده(٣).

---

(١) الزمخشري،(٤/ ٣٧٩).

(٢) السعدي، (ص: ٨٠٣).

(٣) انظر: ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، (١٢٦/٢).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج:

١- ذكر القرآن الكريم بعد أحرف التهجي في السور موضوع الدراسة جاء غالبه مشارًا إليه بلفظ الكتاب أو آيات الكتاب.

٢- جاء وصف الكتاب في هذه الفواتح بأوصاف كثيرة، وأكثرها ورودًا هو وصف ﴿ٱلْمُبِينِ﴾، وتكرّره يدلّ على أنّ القرآن كتاب بيان وهداية ودلالة في أكمل صوره وأحسنها.

٣- كل السور المفتتحة بأحرف التهجّي مكيّة إلا سورتي البقرة وآل عمرآن.

٤- كون السور المفتتحة بأحرف التهجّي مكيّة يتناسب مع مقصد القرآن المكي، وهو التثبيت واليقين والإيمان بالقرآن المنزّل والاتباع للرسول المرسل.

٥- وصف القرآن الكريم في فواتح هذه السور بصفات عظيمة جامعة، منها البيان والهداية والبشارة والتفصيل وغيرها من المعاني الجليلة.

٦- تضمنت هذه الصفات مقاصد إنزال القرآن الكريم، وهذه المقاصد عند مقارنتها بما ذكره الطاهر ابن عاشور نجدها مشتملة عليها بإحدى طرق الدلالات المطابقة أو التضمن أو الالتزام.

٧- مقاصد إنزال القرآن الكريم من خلال السور المفتتحة بأحرف التهجّي منه ما يكون صريحا من خلال صفات ونعوت تتبع ذكر الكتاب أو القرآن، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ﴾ [البقرة:١-٢]، وقوله في سورة يونس: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] ، ومنه ما يكون بذكر التنزيل مضافًا إلى بعض أسمائه الحسنى فيكون ذلك لمناسبة تدل على المقصد، كما في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [غافر:١-٢]، وقوله في سورة فصلت: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١-٢].

٨- علم مقاصد السور من العلوم التي أخذت حيزًا عظيمًا من اهتمام العلماء.

٩- دراسة علم مقاصد السور خير مُعين لفهم وتدبر القرآن الكريم.

١٠- من المقاصد المذكور في بدايات السور الــمُفتَتَحة بالأحرف المقطعة قصد التحدي والإعجاز.

١١- من المقاصد المذكور في بدايات السور الــمُفتَتَحة بالأحرف المقطعة قصد إثبات أن القرآن الكريم محكم بجميع ما حواه من آيات.

١٢- من المقاصد المذكور في بدايات السور الــمُفتَتَحة بالأحرف المقطعة قصد إثبات عموم بركة القرآن الكريم لكل مَن آمن به وعمل بما فيه.

فهرس أهم المصادر والمراجع:

- **بعد القرآن الكريم.**

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع. تح: د. محمد بن عودة السعوي. الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠م.

٢. ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي. المحكم والمحيط الأعظم. تح: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ .

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد. مقاصد الشريعة الإسلامية. اعتناء: محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥. ابن عجيبة، أحمد بن محمد. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان. القاهرة: الدكتور حسن عباس، ١٤١٩هـ .

٦. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تح: عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ .

٧. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي. تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر،١٤٢٠هـ .

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ .

١٠. أنس، مالك.الموطأ. تح: محمد مصطفى الأعظمي. ط١.ابو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

١١. البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن. حققه وخرج أحاديثه: عثمان ضميرية وآخرون. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢. البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تح: محمد المرعشلي. دار إحياء التراث العربي. ١٤١٨هـ .

١٣. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠هـ .

١٤. الزبيدي، محمّد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

١٥. الزمخشري، محمود بن عمرو. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٧هـ .

١٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ .

١٧. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد. بحر العلوم، بدون طبعة.

١٨. السمعاني، منصور بن محمد. تفسير القرآن. تح: ياسر بن إبراهيم. الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ .

١٩. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٠. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. جامع البيان في تأويل القرآن. تح: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة.

٢١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. كتاب العين. تح: د مهدي المخزومي- ود إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٢٢. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. محاسن التأويل. تح: محمد باسل. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ .

٢٣. القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تح: أحمد البردوني.

مصر: دار الكتب المصرية،١٣٨٤هـ .

٢٤. القيسي، مكي بن أبي طالب. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن. تح: مجموعة رسائل جامعية. بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م.

٢٥. الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري. النكت والعيون= تفسير الماوردي. تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٦. المراغي، أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي. مصر: مكتبة مصطفى البابى الحلبي،١٣٦٥هـ .

٢٧. مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ .

٢٨. الموصلي، رشيد الخطيب. أولى ما قيل في آيات التنزيل. اعتنى به: مجد أحمد مكي. الأردن: أروقة للدراسات والنشر،٢٠١٤م.

٢٩. النسفي، عبد الله بن أحمد. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تح: يوسف علي بديوي. دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ .

References:

❖ *After alquran alkarim*

- *Abn Sayidih, Ali bin Ismail Al-Morsi. ed: Abdel Hamid Hindawi. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1421 AH - 2000 AD.*
- *Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud. Maealim Altanzil fi Tafsir Alquran. It was verified and its hadiths were narrated by: Othman Damiriyah and others. Riyadh: Dar Taibah for Publishing and Distribution, 1417 AH - 1997 AD.*
- *Al-Baydawi, Abdullah bin Omar. Anwar Altanzil Waasrar Altaawil. ed: Muhammad Al-Maraashli. Arab Heritage Revival House. 1418 AH.*
- *Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim. Kitab Aleayn. ed: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi - Dr. Ibrahim Al-Samarrai. Al-Hilal House and Library.*
- *Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa. Tafsir Almaraghi. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library, 1365 AH.*
- *Al-Mawardi, Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri. Alnukt Waleuyuna= Tafsir Almawardii. ed: Al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud bin Abd al-Rahim, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.*
- *Al-Mawsili, Rashid Al-Khatib. 'Uwlaa Ma Qil fi Ayat Altanzil. Cared for by: Majd Ahmed Makki. Jordan: Arwaqa for Studies and Publishing, 2014.*
- *Al-Nasafi, Abdullah bin Ahmed. Madarik Altanzil Wahaqayiq Altaawil. ed: Youssef Ali Badawi. Dar Al-Kalam Al-Tayeb, 1419 AH.*
- *Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib. Alhidayat Iilaa Bulugh Alnihayat fi Eilm Maeani Alquran. ed: Collection of university theses. Under the supervision of Prof. Dr. Chahed Al-Boushikhi. Sharjah: Al-Qur'an and Sunnah Research Group - University of Sharjah, 2008AD.*
- *Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din bin Muhammad. Mahasin Altaawil. ed: Muhammad Basil. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1418 AH.*
- *Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed. Aljamie Liahkam Alquran. ed: Ahmed Al-Baradouni. Egypt: Egyptian Book House, 1384 AH.*
- *Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad bin Omar bin al-Hasan al-Taymi. Mafatih Alghayb = Altafsir Alkabir. Beirut: Arab Heritage Revival House, 1420 AH.*
- *Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser. Taysir Alkarim Alrahman fi Tafsir Kalam Almanan. ed: Abdul Rahman Al-Louihaq. Al-Resala Foundation, 1420 AH.*
- *Al-Samani, Mansour bin Muhammad. Tafsir Alquran. ed: Yasser bin Ibrahim. Riyadh: Dar Al-Watan, 1418 AH.*
- *Al-Samarqandi, Nasr bin Muhammad bin Ahmed. Bahr Al-Ulum, no edition.*
- *Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar. Adwa'*

Albayan fi Iidah Alquran Bialquran. Beirut: Dar Al-Fikr Printing, 1415 AH - 1995 AD.

- *Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid. Jamie Albayan fi Tawil Alquran. ed: Ahmed Mohamed Shaker. Al-Resala Foundation.*
- *Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr. Alkashaf ean Haqayiq Ghawamid Altanzil. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.*
- *Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini. Taj Alearus min Jawahir Alqamus. ed: A group of investigators. Dar Al-Hidaya.*
- *Anas, Malik. Al-Muwatta. ed: Muhammad Mustafa Al-Azami. 1nd ed. Abu Dhabi: Zayed bin Sultan Al Nahyan Foundation for Charitable and Humanitarian Works, 1425 AH - 2004 AD.*
- *Ibn Ajiba, Ahmed bin Muhammad. Albahr Almadid fi Tafsir Alquran Almajid. ed: Ahmed Abdullah Al-Qurashi Raslan. Cairo: Dr. Hassan Abbas, 1419 AH.*
- *Ibn Ashour, Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad. Altahrir Waltanwir. Tunisian Publishing House, 1984 AH.*
- *Ibn Ashour, Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad. Maqasid Alsharieat Aliislamia. Attendance: Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khoja. Qatar: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1425 AH - 2004 AD.*
- *Ibn Attiya, Abdul Haqq bin Ghalib. Almuharir Alwajiz fi Tafsir Alkitaab Aleaziz. ed: Abdel Salam Abdel Shafi. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1422 AH.*
- *Ibn Faris, Ahmed bin Faris bin Zakaria. Muejam Maqayis Allugha. ed: Abdul Salam Muhammad Haroun. Dar Al-Fikr, 1399 AH.*
- *Ibn Kathir, Ismail bin Omar Al-Qurashi. Tafsir Alquran Aleazim. ed: Sami bin Muhammad Salama. Taiba Publishing House, 1420 AH.*
- *Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali Al-Afriqi. Lisan Alearab. Beirut: Dar Sader, 1414 AH.*
- *Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Al Harrani. Altadamuriatu: Tahqiq Aliithbat Lilasm' Walsifat Wahaqiqat Aljame Bayn Alqadar Walsharae. ed: D. Muhammad bin Odeh Al-Saawi. Riyadh: Obeikan Library, 2000 AD.*
- *Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj Al-Naysaburi. Sahih Muslim. ed: Muhammad Fouad Abdel Baqi. Beirut: Arab Heritage Revival House, 1426 AH.*